أهدي هذا الجهد إلى

روح أمي وأبي

وأخي سالم أبو أماليد

وإخوتي د . فرحان ، والمهندسين قحطان ومنير ،

وأخواتي الأستاذة زهور وبشرى ،

والمهندسة إنصاف ، والأستاذتين خلود ومسيرة .

وإلى عائلتي المندائية الكبيرة

وأهلي في بلدي العراق ودول المهجر .

متمنيًا للجميع السعادة والأمان .

د . بشير عبد الواحد يوسف

obeikan.com

تـقـديـم

أؤمن بيقين خالص بأن سعادتي تكون عظيمة عندما تتاح لي فرصة كتابة مقدمة لكتاب كبير رائع كُتب بحيادية حرفية مهنية صافية ، يفيد البشرية ، يعني بالتربية ويقوِّم الأخلاق ... وما كتاب المبدع العراقي الدكتور "بشير عبد الواحد يوسف السالم" إلا من هذا النوع الذي يزيدني فخراً واعتزازًا وأنا أكتب له تقديمًا يُعرَف القارئ العربي من خلاله الدور الذي قام به مؤلفه، والجهد الذي بذله، وكيف كانت بداياته حتى تمّ له تجميع كتابه، ثم طبعه ونشره.

لكل حي جذر؛ القمة عصير تلك الجذور بعد أن تكون قد تشربت بماء ملح الحياة، نتاج تلك القمة وثمارها لها نسيج جذرها الذي لا يشذ عنها، يأخذ منها لونها ، صفاءها ، عبقريتها ، سلامها ، لغتها ، وحتى مسامات جلدها ، والديانة الصابئية المندائية أدقُّ مثالٍ على كلِّ ما تقدَّم؛ كونها جذر ديانات التوحيد التي عرفتها البشرية، فجاءت نصوصها وتعاليمها، أسلوبها وخطابها، فلسفتها ونبوغها، مفاهيمها التي تقطر وئامًا وتنشر السلام في أصقاع الأرض بالتزامٍ لم يسبق له

مثيل، لم يأت بعدها ما هو مكنون في داخلها من عصير ذلك الجذر الأول الذي تشربت به أرضها ، أرض الرافدين ، عليه نما زرعها ، أخصبت ثمارها ، نضجت فأعطت ، عاشت واستمرت كل هذه العصور والدهور محافظة على جوهرها وقوامها دون أن يصيبها تغير أو تعنّ من أي تأثير.

عُرف عن مؤلف الكتاب منذ نعومة أظفاره بين صحبه وربعه بالذكاء والفطنة والطيبة، حُبّه للآخر، نكرانه لذاته عندما يعمل... أحبه الخالق فوهب له ذاكرة قوية ، وسرعة حفظ نادرة... تعود منذ صباه أن يخدم جده يوسف السالم في ديوانه ، معجبًا بشخصيته ، كرمه ، عُمق إيمانه ، وسعة دائرة معلوماته في الدين المندائي، أحبّ الفتى جده حُبًا لا يوصف، تعلق به وبات يحلم كيف يكون مثله في صومه، صلاته ، وكثرة صداقاته.

كان لجده ديوانٌ صغيرٌ يجتمع فيه كل مساء عددٌ من وجهاء طائفته، يتردد عليه رجال الدين وعلى رأسهم "الكنزبرا نجم زهرون"[1] لصداقة حميمة جمعتهما، كذلك القادمون من مدن الجنوب العراقي: العمارة والناصرية في زيارة للبصرة... كان الفتى "بشير" يفرش الديوان، يحضِّر القهوة العربية، يبدأ بقليها وتحميصها، دقها وطحنها، غلّيها على نارٍ هادئة... يدور بها على الضيوف لتوزيعها بين الحين والآخر...

تدور أثناء تلك الجلسات مناقشات كثيرة عن الدين المندائي، وحكايات مختلفة كانت تستهوي مؤلفنا بعمق ولذة دون شعور منه عما يراه ويسمعه ، اعتاد حفظها وتسجيلها في ذهنه المتقد الراغب في المعرفة، فترسخت منذ ذلك العهد مفاهيم ومعلومات ومعارف تخص ديانته التي يؤمن بها ويحبها حدَّ القاع والنخاع في صندوق محفوظاته.

---

١ الكنزبرا: مرتبة دينية متقدمة في الديانة الصابئية المندائية

انعكست تلك التجارب والخبرات التي أتقنها في طفولته دون قصد بالفطرة الربانية على شخصية الدكتور في مرحلة شبابه ونضجه ، فعمل في مؤسسات طائفته بجدٍّ وتفانٍ في مراكز متقدمة، حيث تبوأ منصب رئيس مجلس شؤون الطائفة مع نخبة ممتازة من أبناء جلدته، وتكللت جهوده بالنجاح بعد أن نادى مشجعًا بضرورة ترجمة الكتب الدينية المندائية ، فَشُكلَ الهيئة العليا المشرفة على مشروع ترجمة الكتاب المقدس الذي يؤمن به أصحاب ملتنا (الكنزا ربا) برئاسته وعضوية الأساتذة : حمودي مطشر ، داخل يوسف عمارة ، ونزار ياسر الحيدر... الذين كرّسوا جهدهم ووقتهم لإنجاز هذا العمل النبيل الذي باركتُه وشجعتُه باعتباري رئيس الطائفة الروحاني بعد أن اطلعتُ عليه بدقة وعناية وتأكد لي أن هذا السفر العظيم يجب أن يكون في كل بيت مندائي ، ومن الضروري إطلاع المؤمنين بالحي الْقَيّوم على الصحف الأولى التي أنزلها الحي تباعاً على أنبيائه بدءاً بآدم ، وليطلع الإخوة من الديانات الموحِّدة الأخرى على عمق الإيمان والتوحيد المندائي... وأكدتُ في كلمتي في مقدمة الكتاب ضرورة أن تكون النسخ الأصلية المستنسخة بالخط المندائي أساسًا لإجراء المراسيم الدينية، وإني هنا أشجِّع وأبارك كل جهد مندائي ثقافي يسعى لرفعة الدين المندائي وإعلاء اسم الصابئة المندائيين بين الأمم على مختلف مِللهم وعقائدهم وايماناتهم ... و"د.بشير" واحد منهم، والذي تابع بدقة وإخلاص المترجمين: كل من البروفسور صبيح مدلول الخميسي والبروفيسور يوسف متى قوزي ... كذلك، تابع بعناية مركزة مع إخوته في لجنة أعمال الصياغة اللغوية التي أنجزها الشاعر العربي المندائي الكبير عبد الرزاق عبد الواحد. للأمانة يشيد مؤلف الكتاب بالجهد والعمل التطوعي الذي قدمه الأستاذ مجيد جابك في بداية مشوار ترجمة كتابنا المقدس ويثني على العوائل المندائية الكريمة والهيئة الإدارية لنادي التعارف للإسناد المعنوي والمادي لإنجاز مشروعنا الذي توج بالترجمة من الآرامية إلى العربية.

في المهجر وبالتحديد في مدينة اسكلستونا في السويد عمل الدكتور بشير كرئيس للجمعية المندائية مع إخوة أكفّاء أعزاء له، وفي العاصمة استوكهولم سكرتيراً لمجلس العموم الذي شُكل هناك.

كان دائماً يسعى لتطوير معلوماته العلمية كونه مهندسًا متخصصًا في علوم الطيران، ويحرص على تكثيف وتوسيع دائرة معلوماته الدينية كإيمان وناصوراثا ورثها عن جده كما تقدَّم... حين قدم إلى أوروبا مهاجراً لم يضِع الوقت، التحق بجامعة بروكسل، حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية خلال ٢٦ شهراً، ثم واصل دراسته الجامعية في لاهاي بهولندا لمدة ٣٠ شهراً ليحصل على الدكتوراة في الدراسات المندائية التي كانت بالنسبة له حلمه المطلق،ذلك الأمل الذي راوده منذ صباه، طبق ما كان يسمعه، ركز على ذاكرته، أخرج من صندوق محفوظاته ما كان يلتصق به من نوادر ومفاهيم وحكايات حول ديانته عندما كان يخدم جده وضيوفه في ديوانه، أثمرت أفكاره، تفجرت رغباته، فحقق ما كان يصبو إليه، أن يبدع في المجال الذي عشقه يوم كان صبيًا، الدين الذي يؤمن به... كانت أطروحته متميزة، وقعت في ٦٢٦ صفحة من القطع الكبير... قرّر بعدها أن يتغلب على نفسه، ينتصر على إرادته، استعان بمصادر عديدة جمعها من بغداد ودمشق ولبنان والقاهرة، من مكتبات مركزية في بروكسل ولاهاي وأمستردام ولندن وباريس واستوكهولم، اطلع على أمهات كتب الأولين، والمستشرقين، والمعاصرين، وما كتبه رجال دينه؛ ليبدأ مشواره مع كتابة موسوعة مندائية تضمنت ٦ كتب منذ عام ٢٠١١ م متكأً على المعلومات التي ذكرها أعلاه، أنجز منها ثلاثة:

١ - الصابئة المندائيون، دائرة معارف موجزة

٢ -الصابئة المندائيون، بين الإنصاف والإجحاف

٣ - الصابئة المندائيون، شيء من التاريخ

والكتب الثلاثة الأخرى قيد الإنجاز والتأليف.

ما أنهكه قلة منابع المعلومات، شحة المصادر التي تناولت المندائية موضوعًا لها، البحث عنها كان أكبر عائق يواجه الدكتور في مسعاه، بذل جهودًا استثنائية للحصول على المعلومة الدقيقة الأمينة، لاحظ حجم الغُبن الذي لحق جراء إجحاف عدد لا يُستهان به من الكُتَّاب بسبب قلة المصادر وتكرار ما كتبه الأولون المتطرفون... قرّر أن يجسَد حقائق لا جدال فيها: الدين المندائي جذر التوحيد الأول، العالم العلوي عالم مندائي، الحي العظيم خلق آدم وحواء مندائيين؛ علمهم الملاك منداهيي الوصايا والتعاليم والأسماء كما أمر هيي قدمايي[1]... الدين المندائي دين روحاني عميق الإيمان، يعتبر الدنيا فانية وهناك حياة ثانية في عالم الحق (مشوني قشطة) خالدة ليس فيها أوجاع ولا أمراض ولا شيخوخة ولا موت ثانٍ... جسّد "عبد الواحد" كل تلك البديهيات وأثبت صحتها بالعلم اليقين، بالبينة، بالأدلة المستقاة من منابع التاريخ المنصف، مما أوقنه وتعلمه من رجال دينه، من وجهاء طائفته، من علمه الخاص الذي تشرّب به، كافح وناضل من أجله...

من هذا كله خرج لنا الدكتور بإطلالة رفيعة المستوى، جاءت في كتابه القيَم "الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف"، وهو يبين للناس أجمعين خطأ البعض وصواب الآخرين في كل ما تقدم بأسلوب مكثف بليغ أقرب إلى النور، أبعد عن الظلام.

نرجو له الفلاح في مسعاه ولكتابه النجاح.

---

١ هيي قدمايي: الله